الباب الثالث

البيانات و التفسيرات عن المصيبة الواردة في القرآن

من الواضح لا يكفى لأحدهم أن يقول "أنا مؤمن" بل ينبغي أن يترجم ذلك الإيمان قولا و عملا، لذلك يمتحن الله الناس وفقا لاستجابتهم لمجريات ما لاقوه في الحياة الدنيا و ما مارسوه ضمن دائرة قيمهم الأخلاقية و يبقى البشر أن تصيبه المصيبة التى يكابدها حتى يوافيه الأجل. فلهذا من الجدير بالفهم و الذكر معنى المصيبا الواردة في الآيات القرآنية ليحصل المقصود الذي مايراد به الله و صيانة الفهم من تحريف الموقف و تعطيل الإعتقاد. ولذا فالأفضل أن نقرأ و نتأمل بما عرض العلماء المفسرون المتعمقون به في بيان المصيبة الواردة في الآيات القرآنية و ما يتعلق فها.

فقسم الباحث هذا الباب على فصول، وهي :

1. بيان و تفسير العلماء في الآيات القرآنية الواردة بكلمة "مصيبة"

إن الآيات المتعلقة بالمصيبة في القرآن 75 مرة و لكن يركز الباحث في هذا البحث على عشر الآيات القرآنية الواردة بكلمة المصيبة فقط مع ذكر تفسيرات و بيانها من المفسرين.

- **البقرة - الآية 156 : الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**

- القرطبي[1] : الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ : فيه مسائل وقَوْلُهُ تَعَالَى:" مُصِيبَةٌ" الْمُصِيبَةِ: كُلُّ مَا يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ وَيُصِيبُهُ. يُقَالُ: أَصَابَهُ إِصَابَةً وَمُصَابَةً وَمُصَابًا. وَالْمُصِيبَةُ

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه.كان القرطبي عالمًا كبيراً منقطعًا إلى العلم منصرفًا عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم، وهو تفسير كامل عُني فيه بالمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الأخرى، و التذكرة بأحوال الموتى؛ أحوال الآخرة؛ التذكار في أفضل الأذكار؛ التقريب لكتاب التمهيد.

وَاحِدَةُ الْمَصَائِبِ. وَالْمَصُوبَةُ (بِضَمِ الصَّادِ) مِثْلُ الْمُصِيبَةِ. وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى هَمْزِ الْمَصَائِبِ، وَأَصْلُهُ الْوَاوُ، كَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا الْأَصْلِيَّ بِالزَّائِدِ، وَيُجْمَعُ عَلَى مَصَاوِبَ مُوَ الْأَصْلُ. وَالْمُصَابُ الْإِصَابَةُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَسُلَيْمُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا ... أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

وَصَابَ السَّهْمُ الْقِرْطَاسُ يُصِيبُ صبيا، لُغَةٌ فِي أَصَابَهُ. وَالْمُصِيبَةُ: النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا الْإِنْسَانُ وَإِنْ صَغُرَتْ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ. رَوَى عِكْرِمَةُ أَنَّ مِصْبَاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَفَأَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ:" إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ" فَقِيلَ: أَمُصِيبَةٌ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ كُلُّ مَا آذَى الْمُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ). قُلْتُ: هَذَا ثَابِتٌ مَعْنَاهُ فِي الصَّحِيحِ، خَرَّجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ[2] إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ). الثَّانِيَةُ- خَرَّجَ ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أُمِّهِ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الأجر مثله يوم أصيب).

الثَّالِثَةُ- مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ، ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ عَنِ الْفِرْيَابِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا فِطْرُ بْنُ خَلِيفَةَ حَدَّثَنَاطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ مُصِيبَةً فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ). أَخْرَجَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي مُسْنَدِهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا فِطْرٌ ... ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ سَوَاءً. وَأَسْنَدَ مِثْلَهُ عَنْ مَكْحُولٍ مُرْسَلًا. قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ الْمُصِيبَةَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَمَاتَتِ النُّبُوَّةُ. وَكَانَ أَوَّلَ ظُهُورِ الشَّرِّ بِارْتِدَادِ بِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ أَوَّلَ انْقِطَاعِ الْخَيْرِ وَأَوَّلَ

[2] قال النواوي في شرحه على صحيح مسلم:" قال القاضي: هو بضم الياء وفتح الهاء على ما لم يسم فاعله، وضبطه غيره بفتح الياء وضم الهاء، أي يغمه، وكلاهما صحيح".

نُقْصَانِهِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ التُّرَابِ مِنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي نَظْمِهِ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ حَيْثُ يَقُولُ:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

أَوَمَا تَرَى أَنَّ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ ... وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرْصَدِ

مَنْ لَمْ يُصَبْ مِمَّنْ تَرَى بِمُصِيبَةٍ؟ ... هَذَا سَبِيلٌ لَسْتَ فِيهِ بِأَوْحَدِ

فَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَهُ ... فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ[3]

- السعدي[4] : الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ { وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره[5].

- العثيمين[6] : { الذين إذا أصابتهم مصيبة }، أي من هذه المصائب التي ذكرها في الآية الأولى (البقرة : 155). أي المصيبة : ابتلاء العباد بما ذكر الله من الخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس،

---

[3] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، ***المرجع السابق***، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ، ج. 2، ص. 176

[4] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. عالم ومفسّر سعودي ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية. مات والده ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، طلب العلم وجدّ فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، ترك عدة كتب نافعة، أكثرها في تفسير القرآن وعلومه، أبرزها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، واختصر هذا التفسير بكتاب سماه تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وكتبه قيمة محققة تخلو من الدخيل والغرائب، أسلوبها سهل ميسر.

[5] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ)، ***المرجع السابق***، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ، ج. 1، ص. 75،

[6] محمد بن صالح العثيمين (1347–1421هـ، 1928– 2001م). محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء. ولد في عنيزة بمنطقة القصيم التي كانت مساجدها مكاناً لكثير من الحلقات العلمية الشرعية والنقاشات الفكرية. حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم اتجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من العلماء المتخصصين منهم: الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي الذي لازمه حتى بعد انتقال والده إلى مدينة الرياض، وخلفه في إمامة الجامع الكبير بعنيزة والخطابة فيه. ومن شيوخه أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الذي استفاد منه حسب قوله في العناية بالحديث والبحث عن الدليل. ودرس أيضاً على يد الشيخ محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، والشيخ علي بن محمد الصالحي وغيرهم. تخرج العثيمين في كلية الشريعة بالرياض عام 1377هـ، وبدأ بالتدريس في المعهد العلمي قبل تخرجه في الكلية. رفض تولي القضاء رغم إصرار الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة ورئيس القضاة في حينه، وتفرغ للتدريس وقد تحرر من التقليد المذهبي، وأخذ كثيراً باجتهادات ابن تيمية مما جعله أكثر استقلالاً في آرائه الفقهية. زادت آثار الشيخ العلمية على خمسة وخمسين مؤلفاً، وقد اختير بعضها مقررات في المعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية. وأول كتبه فتح رب البرية بتخليص الحموية (1382هـ)، وهي تلخيص لكتاب ابن تيمية الحموية في العقيدة الذي يعتبر فتوى مطولة في العقيدة جواباً لأهل حماة. وله أيضاً زاد المستقنع؛ شرح رياض الصالحين، وجمعت فتاواه في نحو 14 مجلداً. وألقى الشيخ عدد كبيراً من المحاضرات المؤثرة في توجيه الجمهور خاصة الشباب. ووصلت فتاواه للناس بوساطة الهاتف أو الكتابة أو التسجيل أو الإذاعة وخاصة برنامج نور على الدرب. وامتاز الشيخ بالعلم الغزير، والفهم الواضح للدين؛ عقيدة وشريعة، والأسلوب الجيد في العرض واتباع الحكمة في أسلوب الدعوة. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1414هـ، 1994م.

والثمرات، وهو لمن وقع به ظاهر؛ ولغيرهم يكون الابتلاء بالاعتبار، والخوف أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين ابتلوا[7].

- **آل عمران - الآية 165 :**

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

- بين ابن كثير[8] : يقول تعالى" أولما أصابتكم مصيبة "وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتلى سبعين منهم" قد أصبتم مثليها "يعني بوم بدر فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا وأسروا سبعين أسيرا" تم أنى هذا "أي من أين جرى علينا هذا" قل هو من عند أنفسكم "قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه. وقال محمد بن إسحق وابن جرير والربيع بن أنس والسدي" قل هو من عند أنفسكم "أي بسبب عصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم بعذلك الرماة" إن الله على كل شي قدير "أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه[9].

---

[7] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، ***تفسير الفاتحة والبقرة***، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ج. 2، ص. 178

[8] ابن كثير القرشي (700 – 774هـ). عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة 706هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالمًا محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة. توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق.

[9] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ***تفسير القرآن العظيم***، دار طيبة، ج. 2، ص. 159

- أبو بكر الجزائري[10] : المصيبة : إحدى المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها مصيبة الموت.[11]

- شرح الشنقطي هذه الآية في تفسيره[12] : قَوْلَهُ تَعَالَى : أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ . ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ إِنَّمَا جَاءَهُمْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ تَفْصِيلَ ذَلِكَ هُنَا وَلَكِنَّهُ فَصَّلَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ : وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ [3 \ 152] . وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ ; لِأَنَّ خَيْرَ مَا يُبَيَّنُ بِهِ الْقُرْآنُ الْقُرْآنُ .

وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ فَلَا بَيَانَ بِالْآيَةِ ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى : قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، أَنَّهُمْ خُيِّرُوا يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ قَتْلِ أُسَارَى بَدْرٍ ، وَبَيْنَ أَسْرِهِمْ وَأَخْذِ الْفِدَاءِ عَلَى أَنْ يَسْتَشْهِدَ مِنْهُمْ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ قَدْرَ الْأُسَارَى ، وَا الْفِدَاءَ عَلَى أَنْ يَسْتَشْهِدَ مِنْهُمْ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ سَبْعُونَ قَدْرَ أُسَارَى بَدْرٍ ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعَقَدَهُ أَحْمَدُ الْبَدَوِيُّ الشِّنْقِيطِيُّ فِي نَظْمِهِ لِلْمَغَازِي بِقَوْلِهِ : [الرَّجَزِ]

وَالْمُسْلِمُونَ خُيِّرُوا بَيْنَ الْفِدَا ... وَقَدْرُهُمْ فِي قَابِلٍ يَسْتَشْهِدَا

---

[10] جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية ليرة جنوب بلاد الجزائر عام 1921م ، وفي بلدته نشأ وتلقى علومه الأولية ، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون في اللغة والفقه المالكي ، ثم انتقل إلى مدينة بسكرة ، ودرس على مشايخها جملة من العلوم النقلية والعقلية التي أهلته للتدريس في إحدى المدارس الأهلية. ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة ، وفي المسجد النبوي الشريف استأنف طريقه العلمي بالجلوس إلى حلقات العلماء والمشايخ حيث حصل بعدها على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي. فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وغير ذلك. كما عمل مدرساً في بعض مدارس زارة المعارف ، وفي دار الحديث في المدينة المنورة ، وعندما فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها عام 1380هـ كان من أوائل أساتذتها والمدرسين فيها ، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام 1406 هـ. صاحب الترجمة أحد العلماء النشطين الذين لهم جهودهم الدعوية في الكثير من البلاد التي زارها. وما يزال حتى إعداد هذه الترجمة عام 1423هـ يقوم بالوعظ والتدريس في المسجد النبوي الشريف ، ويجتمع إليه عدد كبير من المستفيدين.

[11] أبو بكر الجزائري، ***أيسر التفاسير***، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج. 1، ص. 220

[12] الشنقيطي، محمد الأمين (1325 – 1393هـ، 1907 – 1973م). محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضواً في رابطة العالم الإسلامي. ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزاً في بابه، حيث أودعه علومًا نافعة ومسائل محققة. توفي الشنقيطي بمكة.

وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ فَمَالُوا لِلْفِدَا ... لِأَنَّهُ عَلَى الْقِتَالِ عَضُدَا

وَأَنَّهُ أَدَّى إِلَى الشَّهَادَةِ ... وَهِيَ قُصَارَى الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ

وَنَظَمُهُ هَذَا لِلْمَغَازِي جُلُّ اعْتِمَادِهِ فِيهِ عَلَى «عُيُونِ الْأَثَرِ» لِابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمَرِيِّ ، قَالَ فِي مُقَدِّمَتِهِ : [الرجز]

أَرْجُوزَةٌ عَلَى عُيُونِ الْأَثَرِ ... جُلُّ اعْتِمَادِ نَظْمِهَا فِي السِّيَرِ

وَذَكَرَ شَارِحُهُ أَنَّ الْأَلِفَ فِي قَوْلِهِ يَسْتَشْهِدَا مُبْدَلَةٌ مِنْ نُونِ التَّوْكِيدِ الْخَفِيفَةِ أَنَّهَا فِي الْبَيْتِ كَقَوْلِهِ : [الْمَدِيدِ]

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ[13].

- قول الأخر في تفسير هذه الآية : أولما أصابتكم -أيها المؤمنون- مصيبة، وهي ما أصيب منكم يوم "أحد" قد أصبتم مثلها من المشركين في يوم "بدْر"، قلتم متعجبين: كيف يكون هذا ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهؤلاء مشركون؟ قل لهم -أيها النبي- : هذا الذي أصابكم هو من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم أمْرَ رسولكم وإقبالكم على جمع الغنائم. إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقِّب لحكمه[14].

- **النساء - الآية 62 :**

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وتوفيقا

[13] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، دار الفكر، ج. 1، ص. 216

[14] نخبة من أساتذة التفسير، ***التفسير الميسر***، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ج. 1، ص. 71

- الطبري[15] : إذا أصابتهم مصيبة"، يعني: إذا نزلت بهم نقمة من الله ="بما قدمت أيديهم"، يعني: بذنوبهم التي سلفت منهم[16]

- البغوي[17] (ت 516 هـ) : "فكيف إذا أصابتهم مصيبة"، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة،"بما قدمت أيديهم"، يعني: عقوبة صدودهم ، قيل: هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة تم الكلام ها هنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق[18]

- الرازي[19] (ت 606 هـ) : قَوْلِهِ: أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ وُجُوهًا: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ قَتْلُ عُمَرَ صَاحِبُهُمُ الَّذِي أَقَرَّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِحُكْمِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُمْ جَاءُوا إِلَى نَبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَطَالَبُوا عُمَرَ بِدَمِهِ وَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا بِالذَّهَابِ إِلَى غَيْرِ الرَّسُولِ إِلَّا الْمَصْلَحَةَ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الزَّجَّاجِ. الثَّانِي: قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ: الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مَا أَمَرَ اللَّه تَعَالَى الرُّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَسْتَصْحِبُهُمْ فِي الْغَزَوَاتِ، وَأَنَّهُ يَخُصُّهُمْ بِمَزِيدِ الْإِذْلَالِ وَالطَّرْدِ عَنْ حَضْرَتِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ/ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا [الْأَحْزَابِ: 60- 61] وَقَوْلُهُ: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً [التَّوْبَةِ:

---

[15] الطبري، أبو جعفر (224–310هـ ، 839 – 923م).أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ولد بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان. أثنى العلماء على الطبري كثيراً، فقالوا: إنه ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله، ويُرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه. ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري. وهو أول تفسير كامل وصل إلينا، أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير، كما عدوه أبا التاريخ؛ لأن له كتاباً كبيراً في التاريخ لم يؤلّف مثله، إلا أنه لم يلتزم فيه بالتوثيق. وسماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغير ذلك.توفي الطبري في بغداد.

[16] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، مؤسسة الرسالة، ج. 8، ص. 514

[17] البغوي، أبو محمد (436 – 510هـ، 1045 – 1117م).الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، صاحب التصانيف، الملقّب بركن الدين، وبمحيي السنة. محدِّث فقيه مفسر، تفقّه على القاضي حسين بن محمد شيخ الشافعية، وسمع منه، ومن أبي عمر عبد الواحد المليحي، وغيرهم. كان سيدًا إمامًا عالمًا علامة، زاهدًا قانعًا باليسير. كان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. بُورك له في تصانيفه، ورُزق فيها القبول التام، لحُسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها. من مصنفاته المفيدة: شرح السنّة، وهو كتاب عظيم في بابه لا يستغني عنه طالب علم. ومعالم التنزيل؛ والمصابيح؛ والتهذيب في فقه الشافعية؛ والجمع بين الصحيحين؛ وكتاب الأربعين حديثًا وغيرها. توفي بمرو الرُّوذ، (مدينة من مدائن خراسان).

[18] البغوي، أبو محمد، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، دار طيبة، ج. 2، ص. 243

[19] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان. كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان. اختُلف في سبب وفاته، وقيل مات مسمومًا.

83] وَبِالْجُمْلَةِ فَأَمْثَالُ هَذِهِ الْآيَ تُوجِبُ لَهُمُ الذُّلَّ الْعَظِيمَ، فَكَانَتْ مَغْدُودَةً فِي مَصَائِبِهِمْ، وَإِنَّمَا يُصِيبُهُمْ ذَلِكَ لِأَجْلِ، نِفَاقِهِمْ، وعني بقوله: ثُمَّ جاؤُكَ أيْ وَقْتَ الْمُصِيبَةِ يَحْلِفُونَ وَيَعْتَذِرُونَ أَنَّا مَا أَرَدْنَا بِمَا كَانَ مِنَّا مِنْ مُدَارَاةِ الْكُفَّارِ الا الصلاح، وكانوا في ذلك كاذبين لا نهم أضْمَرُوا خِلَافَ مَا أَظْهَرُوهُ، وَلَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ الْإِحْسَانَ الَّذِي هُوَ الصَّلَاحُ [20]

- أبو بكر الجزائري : {مُصِيبَةٌ} : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم.[21]

- **النساء - الآية 72 :**

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا

- الرازي : {فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} يعني من القتل والانهزام وجهد من العيش. يعني لم أكن معهم شهيداً حاضراً حتى يصيبني ما أصابهم من البلاء والشدة[22]

- أبو حيان[23] : (فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً (المصيبة : الهزيمة . سميت بذلك لما يلحق الإنسان من العتب بتولية الإدبار وعدم الثبات . وقيل : المصيبة القتل في سبيل الله ، سموا ذلك مصيبة على اعتقادهم الفاسد ، أو على أن الموت كله مصيبة

---

[20] الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، ***المرجع السابق***، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج. 10، ص. 123

[21] أبو بكر الجزائري، ***الرجع السابق***، ج. 1، ص. 499

[22] الرازي، فخر الدين، ***الموجع السابق***، ج. 10، ص. 139

[23] أبو حيّان الأندلسي (654 – 745هـ، 1256 – 1344م)، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفزي، نسبة إلى نَفْزة قبيلة من البربر، نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة. وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي وجماعة. وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة شيخ، وأكبَّ على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره. قيل كان له إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم، وهو الذي حثر الناس على مصنفات ابن مالك، ورغّبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب: هذه نحو الفقهاء. وتولّى تدريس التفسير بالمنصورية، والإقراء بجامع الأقمر، وكانت عبارته فصيحة، ولكنه في غير القرآن يعقد القاف قريبًا من الكاف. من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر؛ التذييل والتكميل في شرح التسهيل ؛ ارتشاف الضّرب، ولُعَدّ هذه الكتب من أجمع الكتب وأحصاها في موضوعاتها. وقيل له كتب شرع في تأليفها، ولم يكملها منها: شرح الألفية؛ نهاية الإعراب في التصريف والإعراب، وغير هذه وتلك كثير مما صنّف أبو حيان.

كما سماه الله تعالى . وقيل : المصيبة الهزيمة والقتل . والشهيد هنا الحاضر معهم في معترك الحرب ، أو المقتول في سبيل الله ، يقوله المنافق استهزاء ، لأنه لا يعتقد حقيقة الشهادة في سبيل الله[24].

- أبو بكر الجزائري : {مُصِيبَةٌ} : قتل أو جراحات وهزيمة[25].

- السعدي : فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ { أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم[26].

- الشنقيطي (1974ت) : ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا سمعوا بأن المسلمين أصابتهم مصيبة أي: من قتل الأعداء لهم، أو جراح أصابتهم، أو نحو ذلك يقولون إن عدم حضورهم معهم من نعم الله عليهم[27].

- **المائدة - الآية 106 :**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ

- قال البقاعي[28] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : فأصابتكم (وأشار إلى أن الإنسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله : (مصيبة الموت) أي أصابت الموصي المصيبةَ التي لا مفر منها ولا مندوحة عنها[29] .

---

[24] أبو حيان، ***البحر المحيط***، دار النشر، ج. 3، ص. 237

[25] الجزائري، أبو بكر، ***الرجع السابق***، ج. 1، ص. 280

[26] السعدي، ***الرجع السابق***، ج. 1، ص. 186

[27] الشنقيطي، محمد الأمين، ***الرجع السابق***، ج. 1، ص. 246

[28] البقاعي، برهان الدين (809 – 885 هـ = 1406 – 1480 م). إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط – بضم الراء وتخفيف الباء – بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران –

-

- محمد سيد طنطاوي : والمراد بقوله : { فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الموت } أي : فقاربتم نهاية أجلكم بأن أحسستم بدنو الموت منكم . فليس المراد الموت بالفعل وإنما المراد مشارفته ومقاربته[30] . وسمي - سبحانه - الموت مصيبة ، لأنه بطبيعته يؤلم ، أو يصحبه أو يقاربه أو يسبقه آلام نفسية .

- **التوبة - الآية 50 :**

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فرحون

- {وإن تصبك مصيبة} أي نكبة وإن صغرت كما وقع يوم أحد و أيضا ذلك قال الشيخ الأبياري [31](وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) نكبة وشدة، نحو ما جرى يوم أحد[32] و زاد أو أدخل الشيخ الصابوني معنى مصيبة من تلك الآية "هزيمة و مكروه[33]"

خ) أربع مجلدات، و (عنوان العنوان – خ) مختصر عنوان الزمان، و (أسواق الأشواق – خ) اختصر به مصارع العشاق، و (الباحة في علمي الحساب والمساحة – خ) و (أخبار الجلاد في فتح البلاد – خ) و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – خ) [ثم طُبع] سبع مجلدات، يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، و (بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة – خ) وله ديوان شعر سماه (إشعار الواعي بأشعار البقاعي) و (جواهر البحار في نظم سيرة المختار – خ) أتمه في رشيد (من بلاد مصر) في صفر سنة 848 هـ، و (الإعلام، بسن الهجرة إلى الشام – خ) رسالة، و (مصرع التصوف – ط) و (مختصر في السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء – خ) في مكتبة عبيد، بدمشق، و (القول المفيد في أصول التجويد – خ) في الرباط، و (سر الروح – ط) اختصره من كتاب (الروح) لابن قيم الجوزية، و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور – خ) [ثم طُبع] في خزانة الرباط، (239 كتاني).

[29] البقاعي، برهان الدين، ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***، دار الكتاب الإسلامي، ج. 6،ص. 330

[30] طنطاوي، محمد سيد، ***المرجع السابق***، دار نهضة مصر، ج. 4، ص. 323

[31] الإبياري، إبراهيم (1320–1414هـ = 1902–1994م). إبراهيم بن إسماعيل الأبياري: مؤرخ باحث من مشاهير المحققين المصريين. ولد بطنطا وتخرج بدار العلوم، اشتغل بدار الكتب المصرية، وعين مديراً لإدارة إحياء التراث فمراقباً عاماً لشؤون مجلس النواب والشيوخ ثم كان أستاذاً للعربية بمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ثم مستشاراً للمؤسسة الثقافية بوزارة الثقافة المصرية. ألف «تاريخ القرآن»، «رسالة الشاعر» «شرح لزوم ما لا يلزم»، «مع الأيام»، «الموسوعة القرآنية الميسرة» بالاشتراك «نظرات في التاريخ الإسلامي» «معاوية الرجل الذي أنشأ دولة» «الوليد بن يزيد والدولة الأموية» «الدولة الإخشيدية» «الدولة الأيوبية» «مهذب السيرة النبوية» وحقق كثيراً من المصنفات منها «السيرة النبوية» لابن هشام بالاشتراك، «الأيام والليالي والشهور» للفرّاء، «الإنباه على قبائل الرواه» لابن عبد البر، «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية، «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي، «تجريد الأغاني» لابن واصل الحموي بالاشتراك، «العقد الفريد» لابن عبد ربه بالاشتراك، «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج (وفيه نظر)، أجزاء من «الأغاني» للأصبهاني، «شرح ديوان المتنبي» للعكبري (وفيه نظر)، «أزهار الرياض في أخبار عياض» للمقري، «مختار الأغاني» لابن منظور حقق منه الجزء الأول « غاية الأرب في أنساب العرب» للقلقشندي، «كتاب الجيم» للشيباني حقق منه الجزء الأول كذلك «فقه اللغة» للثعالبي بالاشتراك، «لزوم ما لا يلزم» للمعري، «لطائف المعارف» بالاشتراك.

[32] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، ***الموسوعة القرآنية***، مؤسسة سجل العرب، ج. 10، ص. 23

[33] الصابوني، محمد علي، ***صفوة التفاسير***، ج. 1، ص. 503

- الشيخ السمعاني[34] شرح المصيبة في قول جل و علا (وإن تصبك مصيبة) المصيبة هاهنا هي البلية في القتال بإصابة الكافرين من المسلمين ، يقال : إن الحسنة المذكورة كانت يوم بدر ، والمصيبة المذكورة كانت يوم أحد[35] .

- يقول أبو زهرة[36] عن قوله جل تعالى (وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ). المصيبة مؤنث مصيب أي نازلة وشدة كارثة، وأصلها كما ترى من أصاب، ولكنها بالتاء غلبت في الشدائد والكوارث والنكبات، فماذا أصاب المؤمنين نكبة أو قرح، كما أصابهم يوم أحد[37]

o القصص - الآية 47 :

وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

- قال الإمام ابن عاشور[38] : وَالْمُصِيبَةُ: مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ، أَيْ يَحِلُّ بِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَغَلَبَ اخْتِصَاصُهَا بِمَا يَحِلُّ بِالْمَرْءِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْأَذَى. وَالْبَاءُ فِيما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ عُقُوبَةٌ كَانَ سَبَبُهَا

---

[34] السمعاني (426 – 489 هـ = 1035 – 1096 م). منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث. من أهل مرو، مولدا ووفاة. كان مفتى خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو. له (تفاسير السمعاني – خ) ثلاث مجلدات، و (الانتصار لاصحاب الحديث) و (القواطع – خ) في أصول الفقه [ثم طبع]، و (المنهاج لاهل السنة) و (الاصطلام) في الرد على أبى زيد الدبوسي، وغير ذلك. وهو جد السمعاني صاحب (الأنساب) عبد الكريم بن محمد

[35] السمعاني، أبو المظفر، ***تفسير القرآن السمعاني***، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى : 1418هـ- 1997م ، ج. 2، ص. 316

[36] محمد أبو زهرة (هـ 1394 – 1315 = م 1898- 1974)، ***المولد والنشأة*** : ولد محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في (6 من ذي القعدة 1315هـ=29 من مارس 1898م)، ونشأ في أسرة كريمة عنيت بولدها، فدفعت به إلى أحد الكتاتيب التي كانت منتشرة في أنحاء مصر تعلم الأطفال وتحفظهم القرآن الكريم، وقد حفظ الطفل النابه القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، وكان إحدى منارات العلم في مصر تمتلئ ساحاته بحلقات العلم التي يتصدرها فحول العلماء، وكان يطلق عليه الأزهر الثاني ؛ لمكانته الرفيعة. ***الإنتاج العلمي*** : كتب الشيخ أبو زهرة مؤلفات كثيرة تمثل ثروة فكرية ضخمة عالج فيها جوانب مختلفة في الفقه الإسلامي، وجلّى بقلمه فيها موضوعات دقيقة؛ فتناول الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه، والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة.

[37] محمد بن أحمد بن مصطفى، أبو زهرة،، ***زهرة التفاسير***، دار الفكر، ج. 6، ص. 3325

[38] ابن عاشور (1296 – 1393 هـ = 1879 – 1973 م). محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية)

مَا سَبَقَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ. وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا عَذَابُ الدُّنْيَا بِالِاسْتِئْصَالِ وَنَحْوِهِ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى *فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ*[39]. وَهِيَ مَا يجترجونه مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاحِشَةِ[40].

- **الشورى - الآية 30 : وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**

- البغوي : "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" ، قرأ أهل المدينة والشام)) بما كسبت ((بغير فاء، وكذلك هو في مصاحفهم/ فمن حذف الفاء جعل))ما ((في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم " .ويعفو عن كثير" نال الحسن : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :والذي نفس محمد بيده ما خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر ." أخبرنا أبو سعيد الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه ، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا بشر بن موسى الأسدي ، حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا مروان بن معاوية ، أخبرني الأزهر بن راشد الباهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة قال: قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" ، قال: وسأفسرها لك ياعلي)) :ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله عز وجل أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنكم في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .((قال عكرمة : ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، أو درجة لم يكن الله ليبلغها إلا بها[41].

و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، ، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجلات.

[39] سورة النساء 62.

[40] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ***التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***، الدار التونسية، ج. 20، ص. 136

[41] البغوي، أبو محمد، ***المرجع السابق***، ج. 7، ص. 195-197

- السعدي : يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون } وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ{ وليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزا[42].

- **الحديد - الآية 22 :**

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

- البغوي : قوله عز وجل" :ما أصاب من مصيبة في الأرض"، يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار،" ولا في أنفسكم"، يعني: الأمراض وفقد الأولاد،" إلا في كتاب"، يعني: اللوح المحفوظ،" من قبل أن نبرأها"، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النسمة،" إن ذلك على الله يسير"، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل[43].

- السعدي : قول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره } :مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ { وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب،

---

[42] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ***المرجع السابق***، ج. 1، ص. 759

[43] البغوي، أبو محمد، ***المرجع السابق***، ج. 8، ص. 40

ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر[44].

- العثيمين : {مآ أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير } يعني جميع المصائب التي تصيب الإنسان في الأرض أو في نفسه قد كتبت من قبل. والمصيبة في الأرض كالجدب، وقلة الأمطار، وغور المياه وصعوبة منالها، وربما يقال أيضاً الفتن والحروب وغيرها {ولا في أنفسكم} أي: في نفس الإنسان ذاته من مرض، أو فقد حبيب، أو فقد مال، أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها {إلا في كتاب}، هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ، كتب الله فيه مقادير كل شيء، لما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له: اكتب: ربي وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. سبحان الله ما أعظم هذا اللوح الذي يسع كل شيء إلى يوم القيامة، ولكن ليس هذا بغريب على قدرة الله - عز وجل -، لأن أمر الله تعالى إذا أراد شيئاً، يقول له: كن. فيكون، ولقد كان الإنسان يتعجب من قبل ولكن لا يستبعد أن يكتب في هذا اللوح مقادير كل شيء، فقد ظهر الآن من صنع الآدمي قطعة صغيرة يسجل فيها آلاف الكلمات وهي عبارة عن لوحة صغيرة كالقرص تسجل فيها آلاف الكلمات، وقد يسجل فيها جميع كتب الحديث المؤلفة، أو جميع التفاسير، أو جميع كتب الفقهاء وهي من صنع الآدمي، فكيف بصنع من يقول للشيء كن فيكون، ولما قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمصائب التي تصيب الناس هي في أمر سابق، ولهذا قال: {إلا في كتاب من قبل أن نبرأها}، وقوله: {نبرأها} قيل: إنها تعود على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على النفس، وقيل: على الجميع، والصحيح أنها على الجميع، أي من قبل أن نبرأ كل هذه الأشياء، أي: أن نخلقها، وذلك لأن الله كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض

[44] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ***المرجع السابق***، ج. 1، ص. 842

بخمسين ألف سنة، {إن ذلك على الله يسير} يعني إن كتابة هذه المصائب يسير على الله - عز وجل - لأنه قال للقلم اكتب فكتب وهذا يسير، كلمة واحدة حصل بها كل شيء[45].

- **التغابن - الآية 11 :**

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

- قال الشيخ الشربيني عن هذه الآية في كتابه : {ما أصاب} أحداً {من مصيبة} أيّ مصيبة كانت دينية أو دنيوية في نفس أو مال أو قول أو فعل تقتضي هماً ، أو توجب عقاباً آجلاً أو عاجلاً {إلا بإذن الله} أي : بتقدير الملك الأعظم. وقال الفراء : يريد إلا بأمر الله. وقيل : إلا بعلم الله ، وقيل : سبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا : لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله تعالى عن المصائب في الدنيا ، فبين الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة إلا بقضائه وقدره[46].

- السعدي : يقول تعالى }:مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ{ هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله] تعالى[، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى }:إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ{ وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب،

---

[45] ابن العثيمين، محمد بن صالح، ***تفسير القرآن للعثيمين سورة الحديد***، ج. 15، ص. 41

[46] محمد بن أحمد الشربيني, شمس الدين، ***تفسير السراج المنير***، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت، ج. 4، ج. 219

بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر[47].

2. بيان و تفسير المفسرين في الآيات القرآنية التي تتعلق بالمصيبة سوى كلمة المصيبة

قد ذكر الباحث فيما مضى أن معنى المصيبة في القرآن أيضا تأتي بكلمة أخرى أي دون كلمة المصيبة مع أنها الدالة على نفس الغرض.

بناء على هذا، فالأحسن أن نراجع إلى تفاسير و بيان العلماء المعتبرين كي نتخلص عن الأخطأت في الفهم. و سيذكر الباحث تلك البيانات.

- البلاء و الإبتلاء

توجد كلمة "البلاء" الواردة في القرآن 6 مرات، و هي :

- **وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** (البقرة : 49، الأعراف : 141، إبراهيم : 6)

ذكر الإمام الحافظ ابن كثير الرواية في بيان معنى البلاء في هذه الآية وكانت تلك أحسن طريقا وهي وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} قَالَ: نِعْمَةٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} قَالَ: نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمَةٌ. وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَأَصْلُ الْبَلَاءِ: الِاخْتِبَارُ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الْأَنْبِيَاءِ: 25] ، وَقَالَ: {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} [الْأَعْرَافِ: 168] . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِي الشَّرِّ: بَلَوْتُهُ أَبْلُوهُ بَلَاءً، وَفِي الْخَيْرِ: أَبْلِيهِ إِبْلَاءً وَبَلَاءً،

[47] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ***الرجع السابق***، ج. 1، ص. 867

[وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ} إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَلَفْظُهُ بَعْدَمَا حَكَى الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ الْجُمْهُورُ: الْإِشَارَةُ إِلَى الذَّبْحِ وَنَحْوِهِ، وَالْبَلَاءُ هَاهُنَا فِي الشَّرِّ، وَالْمَعْنَى فِي الذَّبْحِ مَكْرُوهٌ وامتحان][48].

وجاء السيخ علي الصابوني في تاليفه بيانا من كلمة البلاء في هذه الآية : {بلاء} اختبار ومحنة، ويستعمل في الخير والشر كما قال تعالى {وَنَبْلُوكُم بالشر والخير فِتْنَةً} [الأنبياء: 35 أي فيما ذكر من العذاب المهين من الذبح والاستحياء، محنة واختبارٌ عظيم لكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم ليتميز البرُّ من الفاجر[49] أو قيل وفي تلك المحنة ابتلاءٌ واختبار لكم من ربكم عظيم[50]

- **هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً [الأحْزَاب: 11]**

بين الإمام البغوي أن معنى الإبتلاء من هذه الآية الإختبار كما كتب في كتابه { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ } أي: عند ذلك اختبر المؤمنون، بالحصر والقتال، ليتبين المخلص من المنافق، { وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا } حُرِّكوا حركة شديدة[51]. و زاد السيخ السعدي بيانا من هذه الآية أن أن الله تعالى أصاب الناس البلاء فنتة التى بينت في سورة البقرة، يقول { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ } بهذه الفتنة العظيمة { وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا } بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد

---

[48] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،***المرجع السابق***، تفسير سورة البقرة في الآية : 49، ج. 1، ص. 259

[49] الصابوني، محمد علي، ***المرجع السابق***، تفسير سورة البقرة الآية :49، ج. 1، ص. 49

[50] الصابوني، ***المرجع السابق***، تفسير سورة إبراهيم الآية : 6، ج. 2، ص. 84

[51] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ***المرجع السابق***، ،ج. 6، ص. 331

إيقانهم، فظهر -ولله الحمد- من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين. وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين[52].

- الفتن

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (العنكبوت، 29 / 2)

هذه الآية قد قررت لنا أن الله تعالى لا يذر الناس عاما ولا سيما الذين قالوا هم مؤمنون فردا و عبثا بل قد كانت عليه أمر الله كما ذكر الشيخ الشوكاني في تفسيره : "أن الناس لا يتركون بغير اختبار ولا ابتلاء { أن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ } أي وهم لا يبتلون في أموالهم ، وأنفسهم ، وليس الأمر كما حسبوا ، بل لابد أن يختبرهم حتى يتبين المخلص من المنافق ، والصادق من الكاذب[53]. بل ما جرت عليه هي من سنة الله الذين خلوا من قبله حسب ما يقول الجزائري : "{ ولقد فتنا الذين من قبلهم } : أي اختبرنا مقبلهم إذ هي سنة جارية في الناس."[54]

- العذاب

قال تعالى:«وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (السجدة، 32 / 21).

الآية لا تدل على العقاب أو النكال مما كسب الشخص لكن معنى الذي هو المقصود كل ما أذى به الناس و من المكروهات و الشدائد نذيرا و ذكرا ليتوب الناس إلى صراط ربه بعد أن ضل و أزعر منه موافقا لما كتب الإمام ابن كثير و اختصره الصابوني :

---

[52] السعدي، ***الرجع السابق***، ج.1، ص. 659

[53] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ***فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير***، ج. 5، ص. 428

[54] الجزائري، أبو بكر،***المرجع السابق***، ج. 3، ص. 191

"وقوله تعالى : { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ العذاب الأدنى دُونَ العذاب الأكبر } ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي بِالْعَذَابِ الْأَدْنَى مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَأَسْقَامَهَا وَآفَاتِهَا، وَمَا يَحِلُّ بِأَهْلِهَا مِمَّا يبتلى الله به عباده ليتوبوا إليه، وقال مجاهد: يعني به عذاب القبر، وقال عبد الله بن مسعود: الْعَذَابُ الْأَدْنَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ يوم بدر، قال السدي: لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَهُ الْحُزْنُ عَلَى قَتِيلٍ لَهُمْ أَوْ أَسِيرٍ فَأَصِيبُوا أَوْ غَرِمُوا، وَمِنْهُمْ مَنْ جُمِعَ لَهُ الْأَمْرَانِ"[55].

غير تلك الكلمات أن هناك الكلمات التي دلت على الملائم و الشدائد و ما استكره بها الناس، ولكن كما سبق قول الباحث على أن هذا البحث حقيقة الإختصار على المصيبة مع داخلة فيه كلمة أخري التى وردت في القرآن على تفسير و معنى السوي وهي الفتنة، البلاء، و العذاب.

[55] الصابوني، محمد على، ***مختصر تفسير ابن كثير***، ج. 2، ص. 76